

كتاب الشباب
عبد السلام
89
B
مكتبة العبيكان



الفَخُّ البَشَرِيّ

بقلم

أحمد عبد السلام البقالي

مكتبة العبيكان

ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤١٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

البقالي، أحمد عبد السلام

الفخ البشري. ـ الرياض. ـ (سلسلة كتاب الشباب ؛)

... ص؛ ... سم

ردمك X ـ ٢٨١ ـ ٢٠ ـ ٩٩٦٠

١ ـ السعودية ـ القصص القصيرة العربية أ ـ العنوان ب ـ السلسلة

ديوي ٨١٣، ٠١ ١٧/١١٢٢

ردمك X ـ ٢٨١ ـ ٢٠ ـ ٩٩٦٠ رقم الإيداع : ١٧/١١٢٢

الطبعة الأولى

١٤١٧هـ/١٩٩٦م

الناشر

مكتبة العبيكان

الرياض ـ العليا ـ طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة

ص. ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

هاتف ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

لمْ يَكُنِ الممثِّل المنسِي «أحمد الطِّيبي» يظُنُّ أنَّــهُ سيُمَثِّل أعْظَمَ أدْوَارِ حيَاتِهِ ذَلِكَ ٱلمَسَاءَ.

أوقَفَ سَيَّارَتَـهُ عَلَى ٱلْجُرفِ المُطِلِّ عَلى المُحِيطِ وَنَزَلَ. ٱنفَتَحَتِ الأَبْوَابُ الأُخْرَى، ونَـزَلَتْ زوْجَتُهُ زُبيدةُ الحَسنَاءُ، رغْـمَ ٱمْتِلاَئِهَا مُـؤَخَّـراً، وَنَـزَلَ طِفلاهُ طَـارِقٌ وَرِضَـا، وهُمَا في الثـانِيـةَ عشْرَةَ، والعَاشِرَةِ تبَاعًا.

ولَمْ تَمضِ عشْرُ دَقَائِق حَتَّى كَـانَ الأُسْتَاذُ أَحْمَدُ ٱلطِّيبِي يشرب شايه، وَيَقْرَأُ ٱلْجَرِيدَةَ، وهُـوَ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّ صَيْدِهِ القَصِيرِ، وقَد رَكَـزَ ٱلْقَصَبَةَ أَمَامَهُ، بَعْـدَمَا رَمَى بِالصنَّـارَةِ وَالطُّعْمِ بَعِيداً، خَلْفَ ٱلأَمْـوَاجِ ٱلتِي كَانَتْ تَـرْتَـدُّ بِلُطْفٍ عِنْدَ ٱلْتِقَـائِهَا بِجِـدَارِ الجُرْفِ.

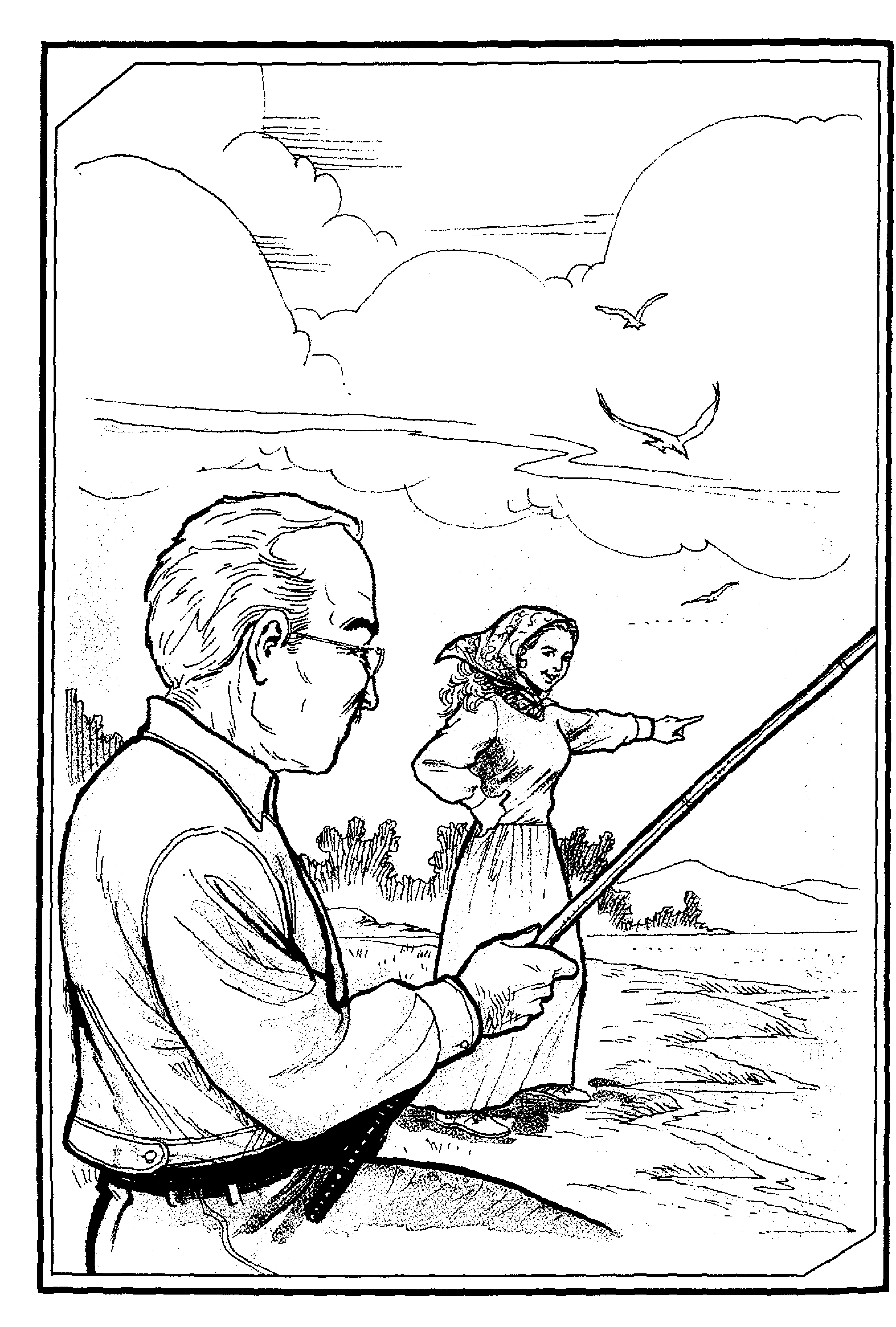
كَانَ يَضَعُ عَلَى رَأْسِـهِ طَاقِيَّةً اسْكُـوتْلانْـدِية، مُلَوَّنَـةً دَوَائِرُهَا

بِجَمِيعِ أَلْـوَانِ قَوْس قُـزَحَ ، وَعَلَى عَيْنَيْـهِ نَظَّارَةٌ ذَاتُ إِطَـارٍ ذَهَبِيٍّ رَقِيقٍ، وَقَـدِ ٱخْتَلَطَ ٱلشَّيْبُ في وجهـه المستديـر بِشَعـرِ شَارِبِـهِ الدَّقِيقِ.

وَاسْتَرْعَى انْتِبَـاهَـهُ عُنْـوَانٌ عَلَى ثَـلاثَـةِ أعْمِـدَةٍ، بِـالصَّفْحَـةِ الثَّـالِثَـةِ، يُعْلِنُ: «عِصَـابَـةُ عَيْنِ الـذِّئَابِ تَقْتُلُ رَجُـلاً وتَخْتَطِفُ زَوجَتَهُ».

كَانَتْ تَسْتَهْوِيهِ الدرَامَا الإنْسَـانِيةُ الْحَقِيقِيةُ التِي يَعْثُرُ عَلَيْهَا، منْ حِينٍ لآخَرَ، بَيْنَ صَفَحَاتِ الجَرَائِدِ، فَيَقْـرَأُهَا بِشَغَفٍ واهْتِمامٍ مِهنِي، لَعَلَّـهُ يَسْتَطِيـعُ أَنْ يَسْتَخْـرِجَ مِنْهَـا مَسْرَحِيَّـةً أو رِوَايَـةً تِلِفِزْيُونيَّةً. وَقَرَأَ:

«وُجِـدَتْ جُثَّـةُ رَجُلٍ فِي نحوِ الأرْبَعِينَ عَلَى شَـاطئِ سيـدِي عَبْـدِ الـرَّحْمنِ. عَثَـرَ عَلَيْهَـا صَيَّـادٌ صَبَـاحَ أَمْسِ، وَتَبَيَّنَ بَعْـدَ التَّحْقِيقِ أنَّ القَتِيلَ كَـانَ يَتَنَـزَّهُ هُـوَ وَزَوجَتُـهُ وَطِفْلَتُهُمَا، حِينَ فَاجَأَتْهُمْ عِصَـابَةُ عَيْنِ الذِّئَابِ التِي أشَاعَتِ الـرُّعْبَ فِي المَنْطقَةِ، فَاعْتَدَتْ عَلَى الزَّوجِ، وتَرَكَتْـهُ فِي حُكْمِ المَيِّتِ، وأَخَذَتِ الزَّوجَةَ



والطِّفلَـةَ في سيَّـارَةِ الأُسْرَةِ. والبَحْثُ جَادٌّ في العُثُـورِ عَلَى هَـذِهِ العِصَـابَـةِ الإجْـرَامِيَّـةِ التِي يَبْـدُو مِن تَصَرُّفَـاتِهَا الْـوَحْشِيَّـةِ أَنَّهَا تَتَعَـاطَـى الْمُخَـدِّرَاتِ الشَّـدِيـدَةَ المَفْعُـولِ، وتُتَـاجِـرُ في قِطَعِ السيّارَاتِ الْمَسْرُوقَةِ لإِشْبَاعِ نَهَمِهَا من الْمُخَدِّرَاتِ...».

وَرَفَعَ أحمد الطِّيبي عينيْهِ في قَلَقٍ عن الجريـدَةِ ليمسَحَ بنظرتِهِ المِنطقَةَ المُحيطَةَ بِهِ. كان الجرفُ بعيداً عن الطريقِ العامِّ.

وحينَ لم يـرَ إلاَّ ولـديـهِ يلعبـانِ تَنفَّس مـرتـاحـاً، وقلبَ الصفحةَ، ومعها طـوى قلقهُ؛ فوجودُ عصـابةٍ من عين الذّئابِ (بـالـدَّارِ البيضَـاءِ)، في هـذه المنطقـة المنعـزلـةِ من ضـواحي (الرِّباط) مُستبعدٌ جِدًّا.

وألقى نظـرةً على رأس قصبتـه الدقيقِ، ثمَّ عـادَ إلى صفحـةِ الرياضةِ.

وَصبَّتْ لـهُ زوجتُـهُ قَهْوَةً سـاخنَـةً منَ (التِّرمُـوس)، وَوَقَفَتْ تمدُّهَا لهُ، وحِينَ رَفَعَ عينيْـهِ إليهَا وجدَهَا تنظُـرُ بعيداً، فنَظَرَ إِلَى حيثُ كانَتْ تنظُرُ، فإذَا سبعَةُ أَشْخَاصٍ قادمُونَ نحْوَهُمْ.



«العِصَابَةُ مكوَّنَةٌ مِنْ سبعَةٍ !».

ونهضَ من كرسيِّهِ، وأبعدَ كأْس القهوَة بيدٍ مرتعشَةٍ، فأعدَى زوجتَهُ زبيْدَةَ بقلقِهِ.

- مَنْ يكونُ هؤُلاءِ، يا أحمدُ ؟

- لاَ أدْرِي، ولكن «مِن الحزْمِ سُوءُ الظَّنِّ». أيْنَ الْولَدَانِ؟

- فوقَ صخرَةٍ تحتَ الجُرْفِ. يَرْميانِ الحَصَى في المَاءِ.

- لماذَا ؟ هَلْ تعتقِدُ أنَّ هؤلاءِ ينوُونَ شَـرًّا ؟

- لاَ أدْرِي، ولكِنَّ الاحتياط واجب.

كـانَ السَّبعَةُ يقتربـونَ بسرعـةٍ مقلقةٍ.. ولمْ يبْـدُ عليهِمْ أنَّهُمْ سيتحوَّلُون عَنِ اتِّجاهِهِمْ.

ودارَ مُخُّ أحْمَدَ الطِّيبِي بسُرعَةٍ مُفْرِطَـةٍ.. «ماذَا يَفْعَلُ لَوْ كَانَ هؤلاء هُمْ عِصَابَةَ عيْنِ الذِّئَابِ ؟».

وتَوجَّهَ إلى نفسِـهِ باللَّومِ: «ولماذَا أختَارُ أنَـا الخُرُوجَ للصَّيْدِ في هَذِهِ المنطقةِ المعزولةِ، خصوصا في هذا اليومِ ؟».

وتـدارَكَ نفسَهُ بسرعَـةٍ: «هذا تفكيرٌ سلبِيٌّ ! فكِّـرْ في طريقـةٍ للنَّجــاةِ بأسْرَتِكَ. إذا كُنْـتَ لا تستطيعُ التَّمثِيلَ على هـــؤُلاءِ السَّبعَةِ، وتحذيرَهِمْ بفنِّكَ حتَّى تأتي النَّجدَةُ فأنتَ لَستَ بفنَّانٍ!! كلُّ ما تعلَّمتَهُ على الخشبَةِ مِنْ مواجهةِ الجماهيرِ هُرَاء في هُراء !».

الْعصابَـةُ تقتربُ بسرعَةٍ.. إنَّـهُ الآنَ يستطيعُ تمييزَ رُؤوسِهمْ الشَّعْثَاءِ ومَلابِسِ رُعاةِ البقَرِ الزَّرْقَاءِ الوَسِخَةِ.

وهمَسَ لزوجَتِهِ:

- انـزِلِي إلَى حفـافِ الْجُرْفِ. حــاوِلي أن تَبْتَعِـدِي عَن هَـذَا المَكَانِ مُتستِّرَةً بالجُرْفِ.

- قَدْ يكونُـونَ مُجرَّدَ جماعةٍ مِنَ الرُّعاةِ وأوْلادِ البَـاديةِ اجْتذَبَهُمْ لَمَعَانُ السَّيارَةِ.

فنهرَهَا مِنْ بَيْنِ أسْنَانِهِ:

- افْعلِي مَا أقُولُ لَكِ !

وانحَنَى بهدوءٍ فـاسْتَلَّ القصبَـةَ منَ الأرْضِ، وتظاهَـرَ بأنَّـهُ يُلْقِي بالطُّعْمِ بَعيداً.

وبينَمَا دِماغُـهُ يُقلِّبُ الاخْتياراتِ الْقليلةَ الْيـائِسَةَ التي وردَتْ عليهِ بدُونِ أمَلٍ، لاحَ لهُ على وجْهِ قفَّةٍ مسَدَّسُ لَعِبٍ شبيهٌ بنوْعِ (مَاغْنُومْ) البُـوليسِي الكَبِير كَانْ اشترَاهُ لرضَا في عِيـدِ ميلادِهِ على أَنْ يستعيرَهُ هُـوَ ليستعملَـهُ في الأدوَارِ التي تتطلَّبُـهُ. فـانحَنَى والتَقَطَهُ شاكراً اللهَ عَلَى المَعُونَةِ غيْرِ المُنتظَرةِ.

وَرَكَزَ المسَدَّسَ في حـزامِهِ حيْثُ يراهُ القَادِمُـونَ، وصَبَّ فِكْره على السِّيناريُـو الذِي عَلَيْهِ أنْ يَضَعَهُمْ فِيـهِ، وعلى الحِوَارِ الذِي يَجِبُ أَنْ يُدِيرَهُ، ويوجِّهَهُ الوِجْهَةَ التِي تخدمُ هَدَفَهُ.

وَحينَ لمْ يبْقَ بَيْنَـهُ وبيْنَهُمْ إلاَّ نحـوُ عِشْرِينَ مِتْراً وَقفَ عَلَى رَأْسِ التَّل مَفْتُـوحَ السَّـاقَيْنِ؛ حتَّى لا يَتْرُكَ الفُـرْصَـةَ لِفَـرائِصِـهِ لترتَعِدَ، وحتَّى يُوحِيَ موقفُهُ إلى خصومِهِ بالقُوةِ وَالاعتدَادِ.

وحينَ لمْ يَبْقَ بينَهُمَا إلاَّ عَشَرَةُ أمْتَارٍ صَاحَ فيهِمْ:

- مَاذَا تُرِيدُونَ!؟

فلَمْ يُجِبْ أحَدٌ مِنْهُمْ، بَلْ استمرُّوا في السَّيْرِ نَحْوَهُ.

وهُنَا اسْتَلَّ المُسدَّسَ، وصَوَّبَـهُ نَحْوَ رئيسِهِمْ، وصَاحَ صَيْحَةً عسكريَّةً:



- حَدُّكَ ثَمَّ ! الزَمْ مَكَانَك !

فَتَـوَقَّفَ رئيسُ العِصَابَـةِ، وأشَـارَ لجَمَاعَتِـهِ بالتَّـوقُّفِ، وَرَفَعَ يَديْهِ، والتَفَتَ بِجِدٍّ سَاخِرٍ إلى رفاقِهِ :

- ارْفعُوا أيْديكُمْ يَا أولادُ ! الرَّجُلُ مَعَهُ مُسَدَّسٌ .

وَوَقَفَ يَنْظُرُ بعيْنَيْن ذابلتيْنِ مُخَدَّرتين .

وَصَاحَ أحْمَدُ الطِّيبِي :

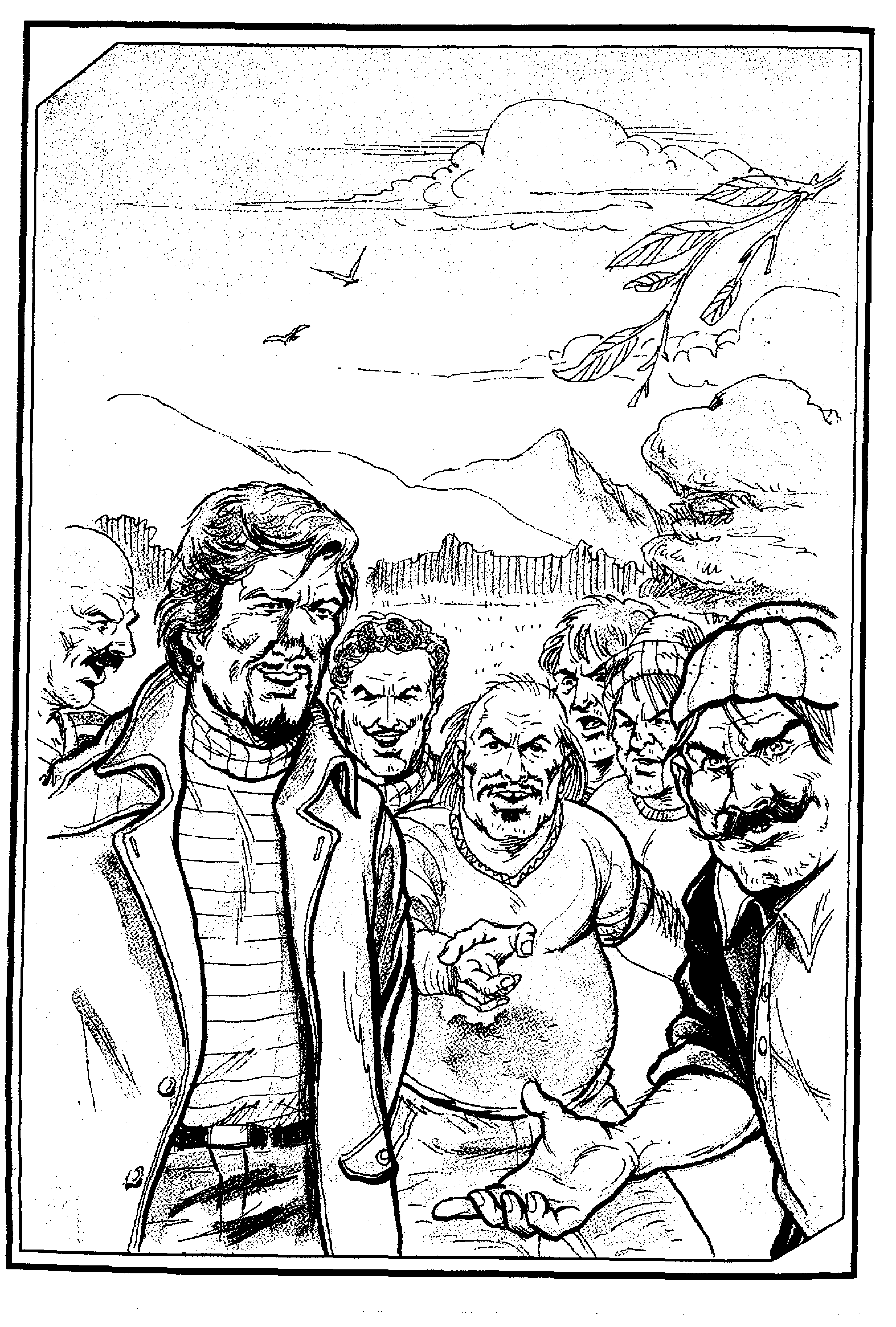
- ماذَا تُريدُونَ ؟

فردَّ الرئيسُ الشَّرِسُ بمسكنةٍ تمثيلية :

- والله يـا سيـدِي لاَ نُريـدُ إلاَّ أنْ نُطِلَّ على البحـرِ مِن فَـوقِ الجُرْفِ . . نُريدُ أنْ نَرَى شَمْسَ الأصيلِ .

وهُنَا انْخَرَطَ أفرادُ العِصابةِ في غِنـاءِ مقطوعَةِ الآلةِ الأنْدَلُسيَّةِ بألْحَانٍ نَشَازٍ:

«شَمْـسِ الأصِيـلِ . . . يَالاَلاَنْ يَالاَلاَنْ، يَالاَلاَنْ لاَلاَنْ ! شَمْسِ الأصِيلِ» .



وَحِينَ انتَهَوْا ضَحِكَ رئيسُهُمْ الـذِي كَانُوا يَدْعُونَـهُ «بالأَفْقَم» لاعْـوِجَاجٍ في فَمِـهِ، وأسْـدَلَ يَدَيْـهِ مُستخفًّـا بتهدِيـدِ الطِّيبِي، ومُشيراً إلى الجماعَةِ لِتَتْبَعَـهُ إلى حَيْثُ يَقِفُ الممثِّلُ مفتـوحَ الساقيْنِ وقَدْ طَالَ ظِلُّـه عَلَى الأَرْضِ حتَّى حَاذَى أقدامَهُمْ. وحينَ تَلكَّأَ البعْضُ خَوفاً مِنَ المُسدَّسِ صَاحَ فِيهِم سَاخِراً:

- إنَّهُ لُعْبَةُ أطفالٍ !

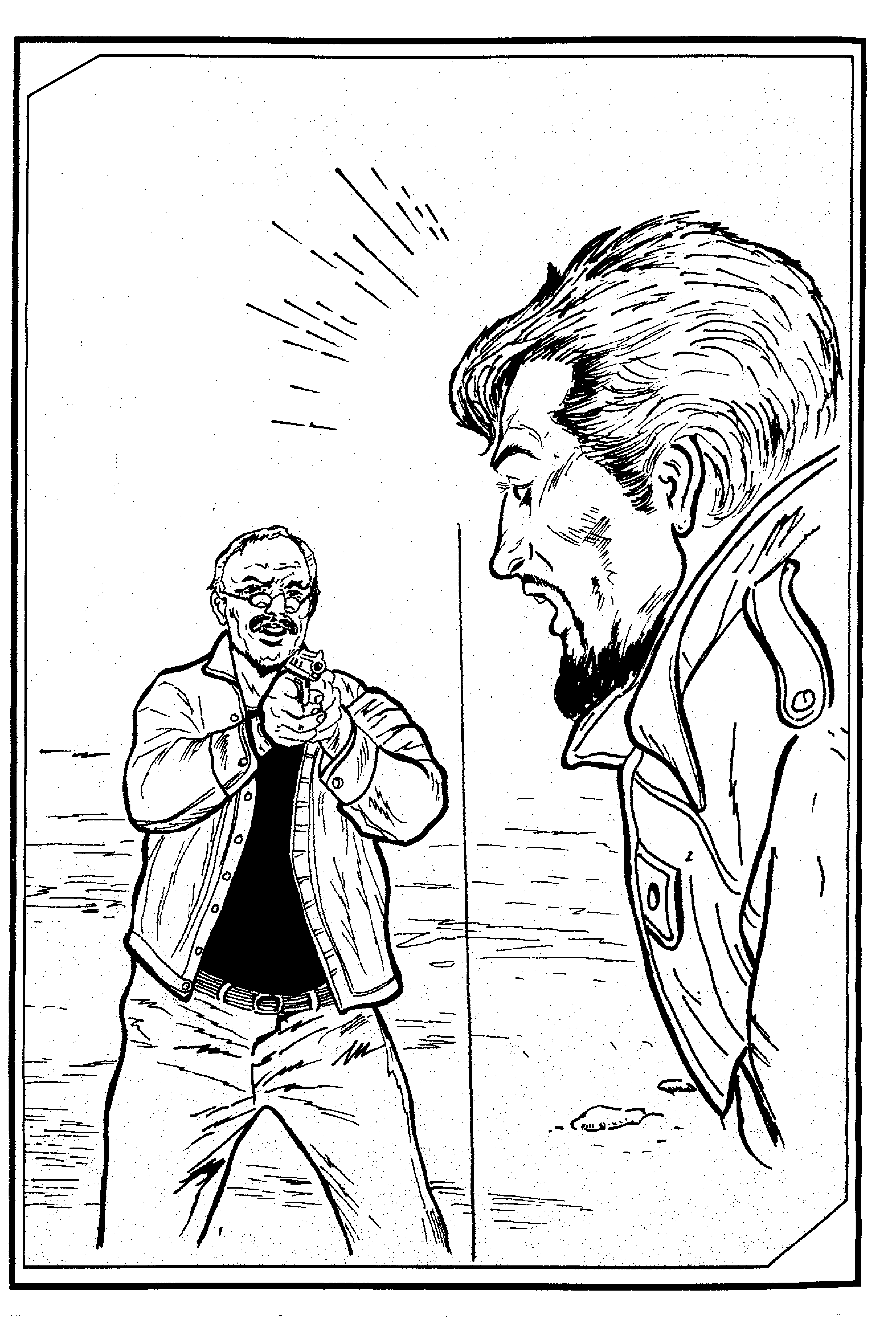
فصَاحَ بِهِ الطِّيبِي :

- هَلْ تُـراهِنُ ؟ هَلْ تُراهِنُ على أنَّـهُ لعْبَةُ أطْفَـالٍ ؟ ستُراهِنُ بحياتِكَ !

وانقلَبَ تعبيرُ وجْه الأفقَمِ السَّاخِـرِ إلى عُبُوسٍ كَالِحٍ شَرِسٍ، وَأشَـارَ بيَـدِهِ إلى الـذِي خَلْفَـهُ دُونَ أنْ يَنْقُلَ بَصَرَهُ عَنِ الطِّيبِي لِيُطَوِّقَهُ مِـنَ اليَسَارِ. وَمَا كَادَ الرَّجُلُ يتحـرَّكُ حَتَّى صَرَخَ فِيهِ أحْمَدُ الطِّيبِي :

- اِلْزَمْ مَكَانَكَ، إذَا لَمْ تُرِدْ أنْ تَذُوقَ طَعْمَ مُخِّكَ. . .

وَلَوَّحَ بالمُسَدَّسِ اللامع في وَجْهِ الأفْقَمِ وقال :



- هَذَا مُسَدَّسٌ بُولِيسيٌّ منْ نَوْعِ «مَاغْنُومْ ـ فُورْتِي فَايْفْ».

نَطَقَهَا بالإنْجليزيَّة، كَمَا حَفِظَهَا في أحَدِ أدْوَارِه القَدِيمَةِ لِيبْهرَهُمْ. وَأَضَافَ:

- إنَّهُ يُصِيبُ الإبرَةَ عنْ بُعْدِ مائَةِ مِتْرٍ! وكَانَ يُمْكِنُ لِي أن أجرِّبَهُ أمَامَكُمْ لِتَرَوْا مَفْعُولَ هَذَا المدْفَعِ المُتَنَكِّرِ فِي زيٍّ مُسَدَّسٍ صَغِيرٍ، لولاَ أنَّ بِهِ سِتَّ رَصَاصَاتٍ فَقَطْ وأنْتُمْ سَبْعَةٌ!

وَصَاحَ أحدُهُمْ منَ الخَلْفِ:

- حَتَّى وَلَوْ أَصبتَ سِتَّةً مِنَّا، سَيَبْقَى وَاحِدٌ ليصَفِّي مَعَكَ الحِسَابَ!

فَأَجَابَهُ الطِّيْبِي بِلَهْجَةٍ مستَرْخِيَةٍ تُوحِي بالثِّقَةِ الكَبيرَةِ في نَفْسِهِ.

- لَقَدْ حَسَبْتُ حِسَابِي جَيِّداً. سَوْفَ أُصَفِّي أقْوَاكُمْ بالرَّصَاصَاتِ السِّتِّ، وَسأُبْقِي أَضْعَفَكُمْ لأسْحَقَهُ بِيَدَيَّ هَاتَيْنِ! فَأَنَا حَائِزٌ عَلَى الحِزَامِ الأسْوَدِ فِي مُصَارَعَةِ الكَرَاتيه!

ونَـزَلَ صَمْتٌ أَحَسَّ فِيـهِ الطِّيبِـي بـالـزَّهْـوِ والاِنْتِصَـارِ عَلَى العِصَابَةِ.

ونطَقَ الأفْقَمُ مُشيراً إلَيْهِ باستخفافٍ:

- حزَامٌ أسْوَدُ بذلِكَ البَطن !؟

ضبطَتْهُ ملاحَظَةُ الأفْقَمِ على حِينِ غَفْلَةٍ مِنْهُ، فلوَّحَ بمسدَّسِهِ سريعاً، وَسَحَبَ بَطْنَهُ بينَمَا هُمْ يَنْظُرون إلَى المُسَدَّسِ، وقال:

- الكراتيه فَنٌّ لا علاقَةَ لَهُ بشكْلِ الجِسْمِ ولا حجمِهِ !

وكَـانَ العـرقُ قَـدْ مـلأ وجْهَـهُ، وبـدَأَ يتصبَّبُ على سـائِرِ جسَدِهِ، وهُـوَ يُحِسُّ بقطراتِـهِ تتجمَّعُ تَحْتَ إبطَيْهِ. خَلَعَ نَظَّـارَتَهُ السَّـودَاءَ لمسْحِهَـا مِنْ بُخَـارِ العَرَقِ الـذِي بـدَأَ يَحْجُبُ رُؤيتَـهُ، فبانَتْ عَيْنَاهُ الدعجَاوَانِ، وحاجبَاهُ المقْتَرِنَانِ.

وهُنَا صَاحَ أَحَدُ أفرَادِ العِصَابَةِ مُتَذَكِّراً:

- إيه ! الآنَ تَذَكَّرْتُ ! ألَمْ تعرفُوهُ ؟ إنَّهُ مُمَثِّل... مُمَثِّل قديمٌ ! رَأيتُه مرَّةً في التّلفِزيُون. إنَّهُ أحمَد الطِّيْبِي !

فَقَالَ الأفْقَم، وقَـدْ دَخَلَ مَرْحَلَةَ اليَقِينِ بعْدَ الشَّكِّ، مُـوجِّهًا الكَلامَ لأحْمَد الطَّيِّبِي:

- كِدْتَ تَنْجَحُ في التَّمثِيلِ أَمامَنَـا! ولكِنَّ المَسْرَحِيَّةَ انْتَهَتْ، وانْسَدَلَ السِّتَارُ! وقَدْ تَعِبْنَا وَاقِفِينَ.

وصَفَّقَتْ بَقيَّةُ العصابَةِ وهَتَفَتْ في تَهَكُّمٍ: «برافو! برافو!».

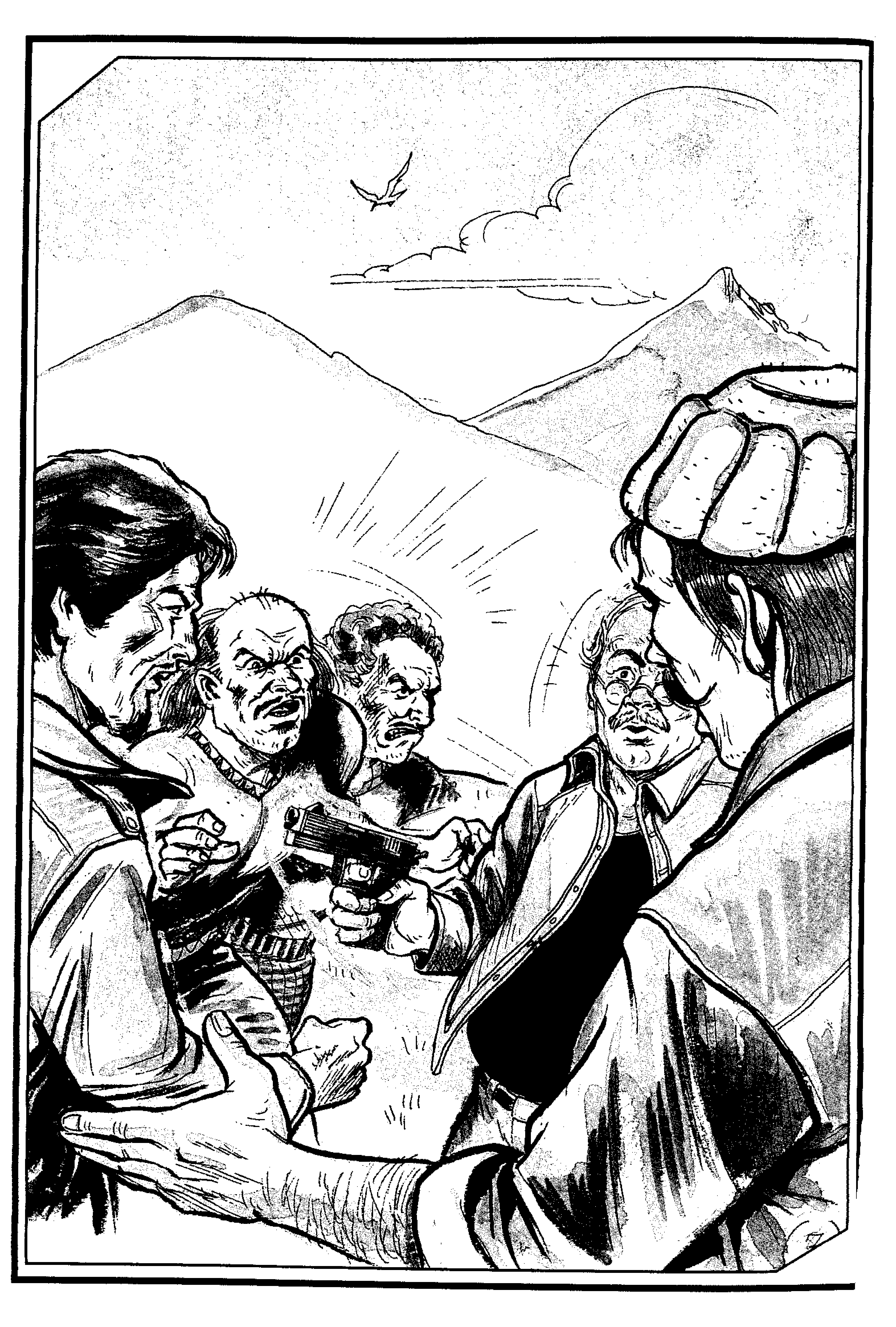
واقتَرَبَ منـهُ الـرئيسُ بضْعَ خطـواتٍ مُشيرًا إليْـهِ بإصْبَعِـهِ، وكَاشِفًا عنْ خِنجَرٍ كَبيرٍ في حِزَامِهِ الوَاسِعِ المُرَصَّعِ بالنُّحَاسِ:

- اسمَعْ، إكْرَامًا لِتمثِيلكَ سَنتْرُكُكَ تَذْهَبُ.

فتَنَهَّـدَ الطَّيِّبِيُّ الصُّعَـدَاءَ في سِرِّهِ، ولَكِنَّ ارْتِيَـاحَـهُ لَمْ يَطُلْ؛ فَقَدْ أضَافَ الأفْقَمُ:

- ولكِنْ بِشَرطٍ، أنْ تَتْرُكَ لَنَا السَّيَّارَةَ والمَرْأَةَ، وتَذْهَبَ.

وأحَسَّ بـوَجْهِهِ يمْتَقعُ فَجْأَةً، وبأعْصَـابِهِ تكادُ تُفْلِـتُ مِنْهُ، وأنَّـهُ يُـوشِكُ أنْ يَصْرُخَ في وَجْهِـهِ: «تِلْكَ المرأةُ زَوْجَتِي، وأمُّ أولادِي أيُّها الكـلابُ! ولَنْ تَصِلُـوا إليْهَـا إلاَّ فَـوقَ جُثَّتِي!»، ولكنَّهُ رَاجَعَ نَفْسَـهُ بسرعةٍ، وكأنَّـهُ يُنْصِتُ لمُلَقِّنِ المَسْرَحِ يهْمِسُ



لَهُ: «الْـزَمِ السِّيناريُو ! لاَ تلعَبْ في أيديهِمْ. لاَ تفقِـدْ أعصابَكَ فيحتقِروكَ ويغلِبُوكَ !».

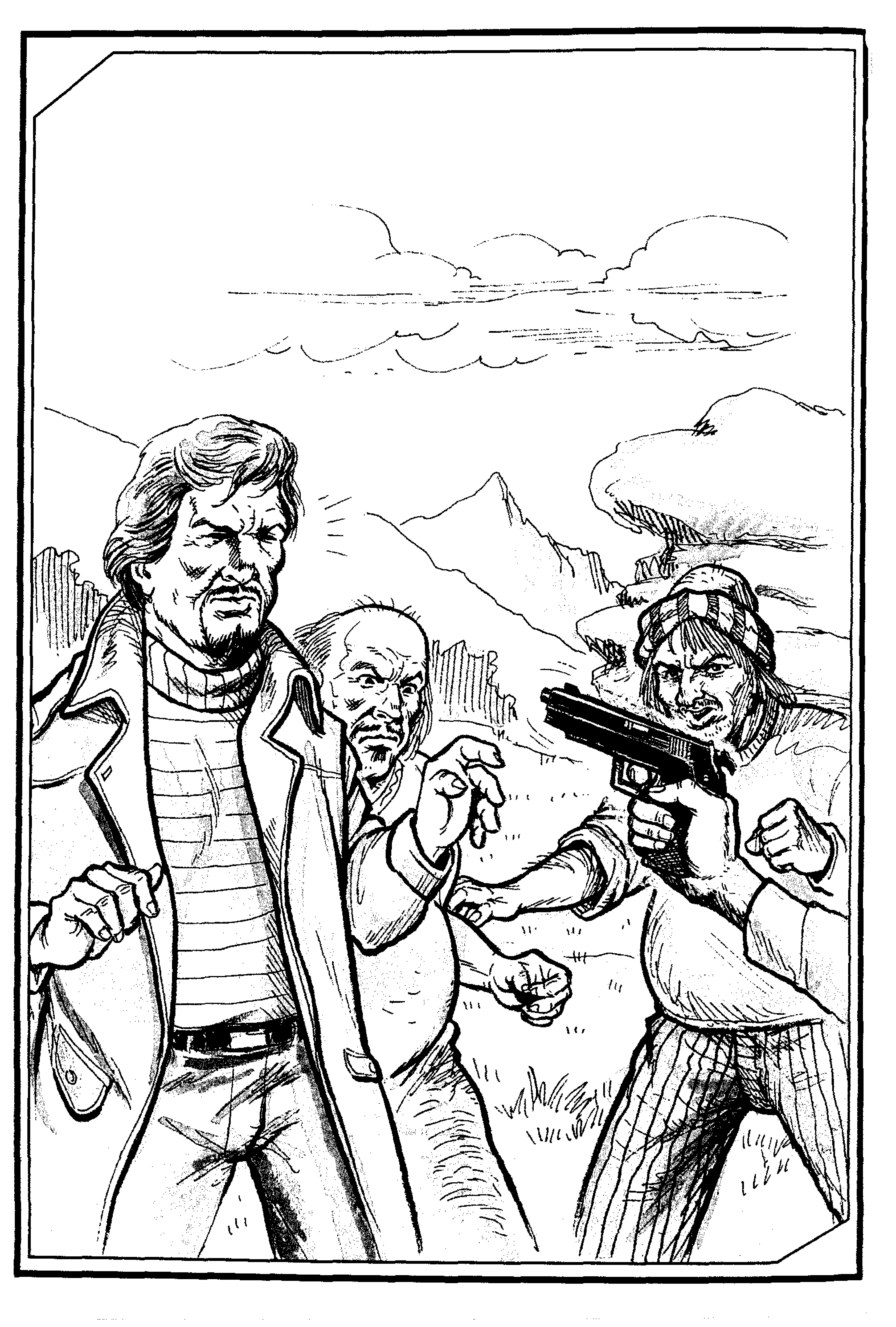
«ولكِنْ، يـا إلَهِي! مَـاذَا أفْعَـلُ الآنَ؟! هَـذِهِ مُفَـاجَأَةٌ لَمْ أتَوَقَّعْهَا!».

وَقَبْلَ أنْ يُحِسُّوا بارْتِبَاكِهِ، تَدارَكَهُ ذكاؤه المسرحِيُّ، فقَالَ:

- أنْتُمْ تعـرِفُونَ فقطْ أنَّنِي مُمَثِّـلٌ! وَهَلْ يسْتَطيعُ المُمَثِّلُ، في هَذِهِ الأيـامِ أنْ يَشْتَرِيَ سيَّارَةً ومنْزِلاً ؟ بَلْ هَلْ يَسْتَطِيعُ، بـدَخْلِهِ التَّافِهِ، حَتَّى أنْ يَتزَوَّجَ كَبَقِيَّةِ عِبَـادِ اللهِ ؟! كَلاَّ ! لِذَلِكَ فأَنَا الآنَ أعمَلُ مَعَ رِجَالِ الأمنِ. ونحـن نَعْرِفُ أنَّ عِصابَـةَ عَيْنِ الذِّئَابِ تَـرَكَتْ الدَّارَ البيْضَـاءَ بالأمْـسِ في اتِّجَاهِ الرِّبَـاطِ. وَقَدْ تَطَـوَّعتُ لأكُونَ طُعْماً لَكُمْ في هَـذِهِ البُقْعَةِ المنعزِلَـةِ، لأنَّكُمْ دَائِماً تختارُونَ ضحايـاكُمْ مِن منتجعِي الأماكِنِ الخاليـةِ ! وقَدْ صَدَقَ حدسِي البوليسِي. فمرحباً بكُمْ في سِجْنِ الرِّبَاطِ.

وهُنَا نَظَرَ الأفْقَم إلَى بقيَّةِ العِصابَةِ، وصاحَ فِيهِمْ:

- إنَّهُ يكْذِبُ ! يُمَثِّلُ. تعالَوْا نُزِلْهُ مِنْ طريقِنَا، ونَأْخُذِ السَّيارةَ والمرْأَةَ ونبتعِدْ عَنْ هَذِهِ البُقْعَةِ المشؤومةِ !



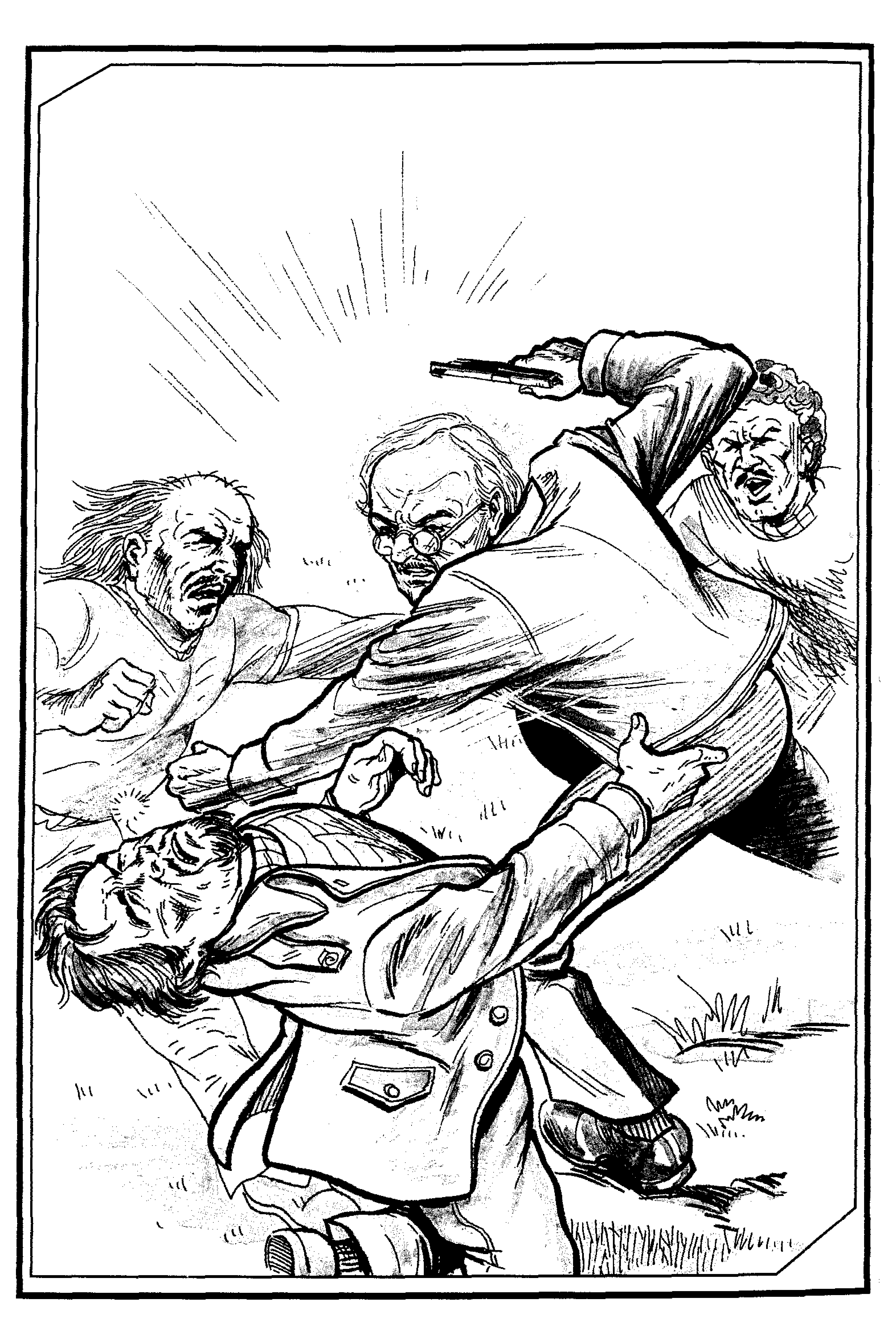
وتحرَّكَ البَعضُ، وبقِي البَعْضُ ثابتًا في مكانِهِ، فصاحَ فيهم الطِّبِيبي :

- لَنْ تذهَبُوا بعيدًا. إنَّكُم مطوقُون منْ كُلِّ جَانِبٍ ! والبَلَدُ كُلُّهُ يبحَثُ عنكُمْ. فقَدْ رَصَدَتْ عَائِلَةُ ضَحِيَّتكم الأخيرَة جائزَةً بمبلغِ مائَةِ مَليُونٍ لِمَنْ يَقْبِض عَليكُمْ، أو يَأْتِي بأحدِكُمْ حيًّا أو ميِّتًا ! ألَمْ تعرِفُوا ذَلِكَ ؟ طَبْعًا لاَ. إنكُم أُمِّيُونَ لاَ تقرأُونَ ولا تكتُبُونَ.

وانْحَنَى فالتَقَطَ الجَرِيدَةَ، وَعَرَضَهَا عَلَيْهِمْ :

- انْظُرُوا. كُلُّ ذلكَ في جَرِيدَةِ اليَوْمِ. الجَائزَةُ لأيِّ واحِدٍ يَدُلُّ عَلَى رئيسِ العِصَابَةِ ! حَتَّى مِن بَيْنِ أفْرَادِ العِصَابَةِ نفسِهَا. أيُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ يمْكِنُهُ الحُصُولُ عَلَى عَفْوٍ شَامِلٍ عَنْ جَمِيعِ أعمالِهِ مَعَ العصابَة إذَا أخبر الشُّرطَةَ بمكان العصابة، أو أخَذ أحدَ أعْضائِهَا.

وهُنَا بَدَأَ أعضَاءُ العِصَابَةِ يبْتَعِدُ بَعضُهُمْ عنْ بَعْضٍ، وينظُرونَ حَوَالَيْهِمْ في شَكٍّ وارْتِيابٍ شَدِيدٍ. . .



وزَادَ وَجْهُ الأفقَم اعـوجَاجًا وهُو يَنْظُرُ بِمَقْـتٍ شَدِيدٍ إلَى أَحْمَدَ الطِّيبِي، واسْتَلَّ خِنْجَرَهُ، ومَشَى نَحْوَهُ بِخطوَاتٍ وَاسِعَةٍ.

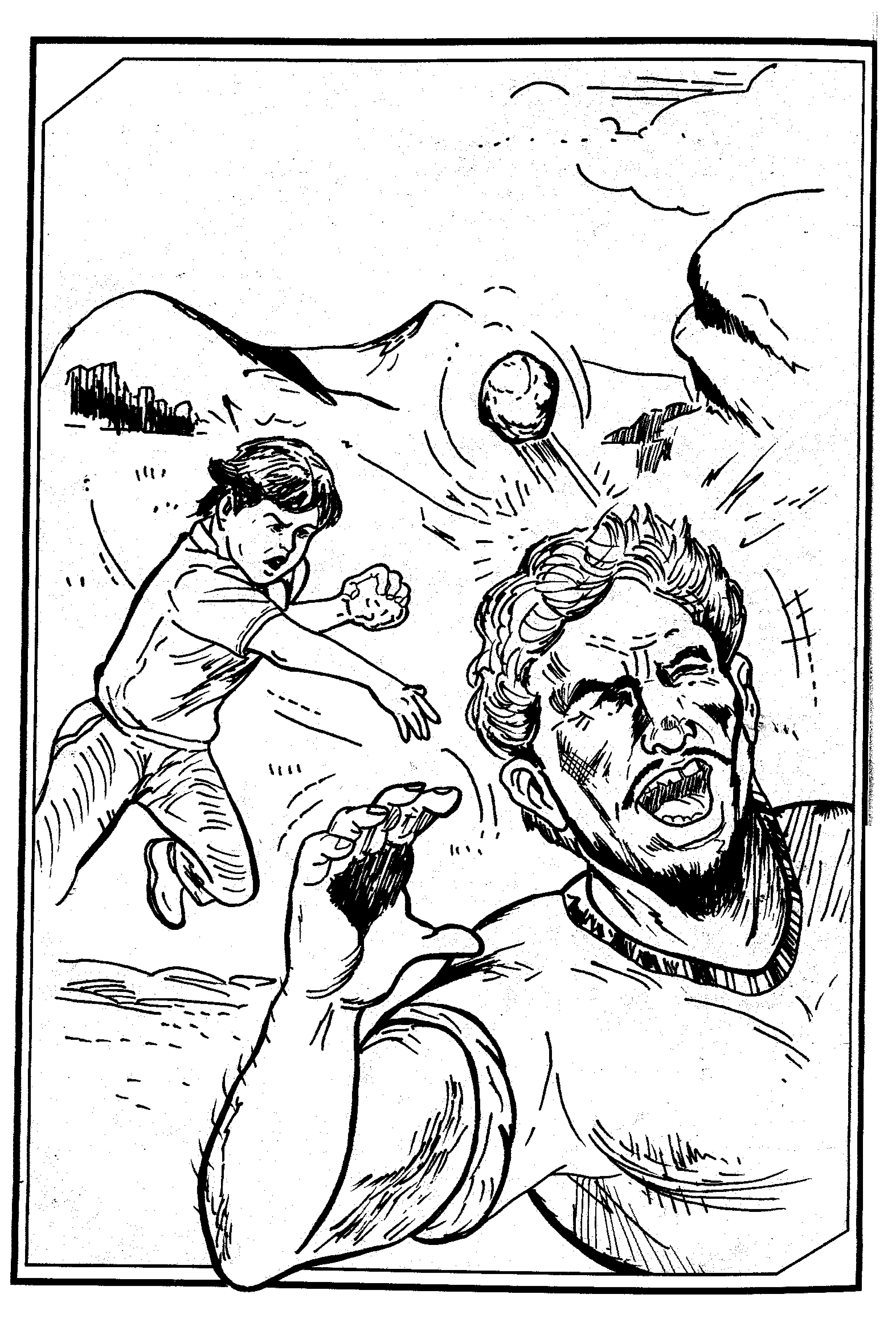
وارتَبَكَ الطِّيبِي، فأَخَذَ يبتَعِدُ ويَصيحُ فِيهِ:

- الْزمْ مَكَانَكَ، أو أُطْلِقُ النَّارَ!

- إذَا كَـانَ مَـا قُلْتَـهُ صَحِيحـاً عَنِ التَّطْـوِيقِ والجَائِزَةِ، فَلَنْ أتركَكَ حَيًّا لتَتَمَتَّعَ بِهَا، أو لِتَتَشَفَّى مِنِّي حِين يَقْبِضُون عَلَيَّ.

وعَثَرَ الطِّيبِـي في الكُرْسِي القَصِيرِ خَلْفَهُ وسَقَـطَ عَلَى ظَهْرِهِ، وارتَمى عليْـهِ الأفقَمُ، فأمسَكَ الطِّيبِي برسْغِ يَـدِهِ القابضَـةِ عَلى الخِنْجَرِ لِيُبْعِـدَهُ عَنْ وجْهِـهِ.. وتَدَحْـرَجَ الاثنَـانِ عَلَى الأرْضِ حَتَّى كَـادَا يَقَعَانِ في البحْرِ. ويئِـسَ الطِّيبِي لِعِلْمِهِ أنَّ العصـابَةَ ستهُبُّ إلى مساعـدَةِ رئيسِهَا والإجهَـازِ عليْهِ هـو، ولكِنَّ انتِظارَهُ طَـالَ، وَهُوَ يُصَـارِعُ المَارِدَ الشَّرِسَ بقوة لمْ يَعْهَـدهَـا في بَدَنِـهِ من قَبْلُ.

واستطَـاعَ الأفقم في النِّهَـايَـةِ أن يُمْسِكَ بيَـدَي الطِّيبِي، ويضعهما تَحْتَ رُكْبَتَيْهِ، ويرْفَعَ الخِنْجَرَ ليغرسَهُ في صَدْرِهِ.



وفي تِلْكَ اللَّحظَـةِ نَـزَلَ حَجَـرٌ عَلَى رأس الأفقَمِ، فأفقَـدَهُ الوَعْيَ، وسَقَطَ على صَدْرِ الطِّيبِي كالخَروفِ المذبُوحِ.

وفتَحَ الطِّيبِي عينيْـهِ، لِيَرى ولدَهُ طـارِقـاً يُزِيحُ جَسَـدَ رئِيسِ العِصَـابَـةِ مِـنْ فَـوقِ صَـدْرِهِ، ويُمسِكُ بيَـدِهِ ليُسَـاعِـدَهُ عَلَى الوُقُوفِ، فيُعَانِقُهُ بِحَرَارَةٍ وقوَّةٍ، وينفَجِرُ بَاكِياً.

وانضمَّت إليْهِمَا زَوجتُـهُ زُبيـدَة وَوَلَـدُهُ رِضَـا، فأخَـذَ ينظُـرُ حـواليهِ في دهْشَـةٍ، وقد ازْدَحَمَ المكـانُ بالنَّـاسِ، وكأنَّ الأرْضَ انشقَّتْ عَنْهُمْ. . .

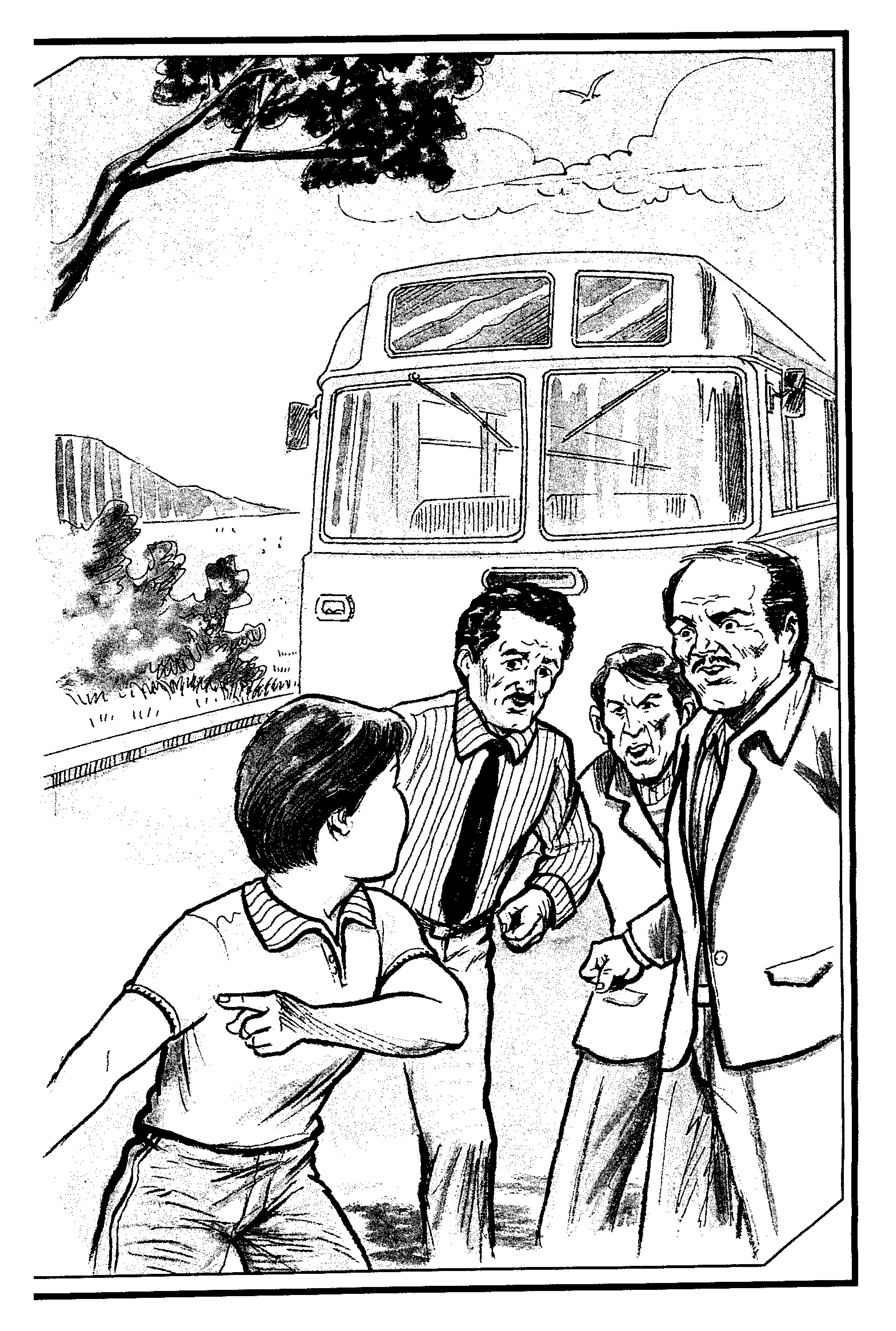
وحِينَ اقتَادَ النَّـاسُ أفرَادَ العِصَـابَةِ، وأيقَظُـوا رئِيسَهَا، وعَـادَ أحمَدُ الطِّيبِي وعائلَتُهُ إلى سيَّارتِهِم، حَكَى لَهُ طارِقٌ مَا فَعَلَ حِينَ هَجَمَتِ العِصَابَةُ.

قَالَ: «حِينَ أدْرَكْـتُ أننا مُطَوَّقُـونَ، قُلْتُ في نَفْسِي لا ينْبَغِي أنْ أضيعَ دقيقَـةً واحِـدَةً في الحَسْرَةِ وانتِظَـارِ الفَـرجِ. فخَلَعْتُ مـلابِسي إلاَّ الحِذَاءَ، ومشيْتُ على حَـرْفِ الجُرفِ القَـرِيبِ منَ المَاء. ولحسْنِ حَظِّي لَمْ تكُنِ الأمـوَاجُ عَاليةً، حَتَّـى ابتَعَدْتُ عَن

هَذَا المَكَانِ، وخَرَجْتُ مِنَ النَّاحِيةِ الأخْرَى، وَسطَ الغَابَةِ كَيْ لاَ يَـرَانِي أفـرَادُ العِصَابَـةِ. منْ هنَـاكَ أطلَقْتُ سَـاقِيَّ للـرِّيحِ حَتَّى وَصَلْتُ طَـرِيقَ السِّيـارَاتِ. وحَاولْتُ بكُـلِّ قُوَايَ وقُـدْرَتِي عَلَى التَّمثِيلِ أنْ أوقِفَ سيَّارةً خَـاصَّةً وَاحِـدَةً، فلَمْ أفْلِحْ.. «قُلُوبُ الحِجَارَةِ!».

فعلَّقَ أبُـوهُ: «لا تقْسُ عَلَيهِمْ يَا وَلَـدِي؛ فـالنَّاسُ يخافـون، ومَنْ سَيَقِفُ لولَدٍ عَارٍ وسطَ الطَّرِيقِ في أوَّلِ اللَّيلِ؟».

واستأنَفَ طَـارِقٌ: «ولكنَّنِي رأيتُ حـافِلةً ضخمَـةً آتيـة مِنَ الـدَّارِ البَيْضاءِ مَليئَـةً بالـرُّكَّابِ، فـوقَفْتُ أمَامَهَـا، ألوِّحُ بكِلْتَـا يَـديَّ، وهي قادمَـةٌ نَحـوِي بسُرعَـةٍ، والسَّائِقُ يُشْعِلُ النُّـورَ في وجْهِي حتَّى أحيدَ لَهُ عَنِ الطَّـريقِ. وحِينَ تأكَّدْتُ من أنَّهُ رآنِي ألْقَيْتُ بنفْسِي أمـامَـهُ، وأغلقْتُ بجسَـدِي الطَّـريقَ. وسمِعْتُ زَعِيقَ عجَلاتِـهِ الضَّخْمَةِ عَلَى الأرْضِ، فأيْقَنْتُ أنَّـهُ سَيَدُوسُنِي فتشهَّـدْتُ، وأغمضْتُ عينَيَّ. ولكنَّ الله سلَّـمَ. فقَـدْ تَـوَقَّفَتِ الحافلَةُ الهائلَةُ، وعجلتُهَا الأمامية اليُمنَى تكادُ تلمسُ رأسِي.



ونَـزَلَ النَّـاسُ، وجَـاءَ السَّائِقُ غَـاضِبًـا يُـرِيـدُ أن يضرِبَنِي، فَصِحْتُ فيهِـمْ بأعْلَى صَـــوتِي: «أبِي وأمِّـي وأخِي الصَّغيرِ في خطَـرٍ! عِصَـابَـةُ الـدَّارِ البيْضَـاءِ تطـوقهم هنَـاكَ على حفـافِ الجُرفِ. أرجُوكُم تعَالَوا معي لإنقَاذِهِم...».

وتَقَـدَّمْتُهُمْ أجْرِي، وهُم خَلْفِي، حَتَّى اقْتَرَبْنَـا، ورآنا أفـرادُ العِصَـابَةِ، فحَـاوَلُـوا الهُروبَ، ولكنْ بَعْـدَ فَواتِ الأوانِ، فقَـدْ طـوَّقهُم رُكَّـابُ الحافِلَـةِ من كلِّ مَكَـانٍ، وأمسكُـوا بِهِمْ وَاحِـداً واحِداً كـالدَّجَـاجِ. وقَصدْتُ أنَا رئيس العِصـابَةِ فأدركتُـهُ وهُوَ يكادُ يطعنُكَ بـالسِّكِّينِ، فالتَقَطْتُ حَجَـرَ «المَرَاغَةِ» وهَـوَيتُ بِهِ على رأسِهِ..».

وضمَّتْـهُ أمُّهُ وبَكَتْ. وبقـي والدُهُ أحمَدُ الطِّيبي يُـرَدِّدُ: «الله يَرْضَى عنك، يَا وَلَدِي! الله يرضَى عنك بِقَدْرِ مَا في السماء منْ نجـوم، ومن قطـرات الماء في البحـر، وحبَّـاتِ الـرمل في الصَّحراء؛ فقَدْ أنْقَذْتَ حيَاتِي».

فسألَ طَارِقٌ: «في الـوَاقِعِ كُنْتُ يائسـاً من المَجِيءِ في الوقْتِ

المناسب. فكيفَ اسْتَطَعْتَ أنْ تُـؤَخِّرَ هجُـومَهُمْ عَلَيْكُمْ طُـولَ هَذِهِ المُدَّةِ؟!».

فَـــرَدَّ أحمَدُ الطِّيبِي: «واللهِ، يَـــا ابْنِـي، لاَ أدْرِي كَيْفَ؟ تَمَلَّكَتْنِي غَريزَةُ حُبِّ البَقَـاءِ، فدافعْتُ عَنْ نَفْسِي بأحْسَن وسِيلَةٍ أتْقِنُهَا، التَّمثِيل!».

وعَلَّقَتِ الأم: «لَـو كُنْتَ هنَـاكَ، يَـا طَارِقُ، لـرأيْتَ وَالِـدَكَ يُمَثِّل أعظَمَ دَورٍ في حَيَـاتِهِ! حَتَّى أنَـا انخَدَعْتُ، وصَدَّقْـتُ مَا كَانَ يَقُولُهُ عَنْ كَونِهِ مَعَ البـوليسِ، وأنَّهُ كَانَ يَنْتَظِرُهُمْ هنَاكَ كَفَخٍّ بَشَرِيٍّ حَيٍّ! لِدَرجَة أنَّنِي ارتحْتُ وَزَالَ عَنِّي الخَوفُ!».

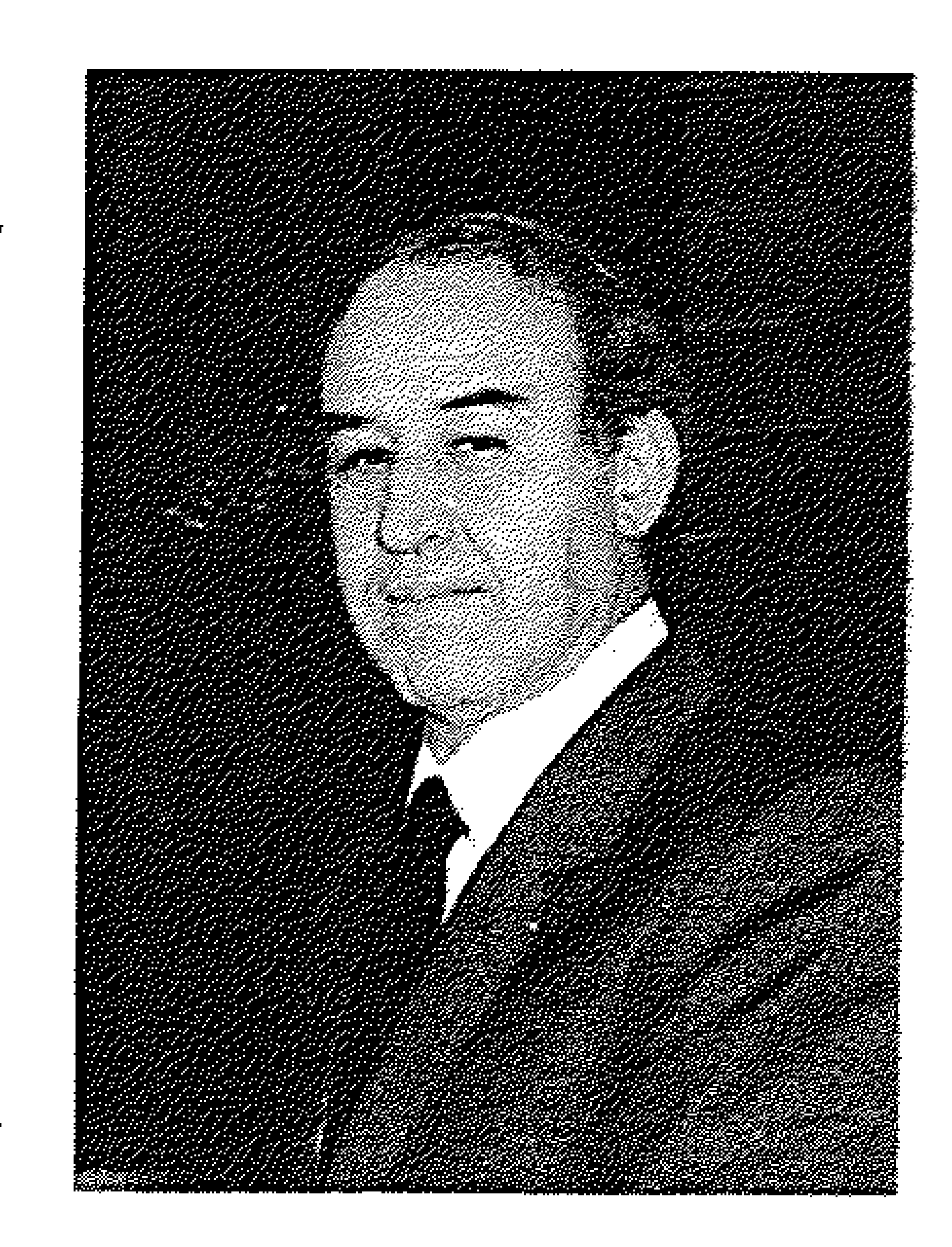
وسَأَلَ رِضَا أخَاهُ طَارِقًا:

«ولكن لِمَاذَا خلعْتَ ملابسَكَ لتذهب للمجيءِ بالنجدَةِ؟»

فـرَدَّ طَـارِقٌ: «لأستَطِيعَ السِّبَـاحَـةَ إذَا سَقَطْتُ في البَحْـرِ، وحتَّى لا يَسْتَطِيعُوا الإمسَاكَ بِي إذَا طَارَدُونِي!».

وضَحِكَ الأربَعَةُ منَ القَلْبِ!

هذه السلسلة



تضم هـذه السلسلـة مجموعـة مختـارة من القصص والـروايـات التربـويـة التشـويقيـة المختـارة للكـاتب المغـربي المعـروف أحمد عبد السلام البقالي، الحاصل على جـائزة «المنظمـة العربيـة للتربيـة والثقافة والعلوم».

وهي موجهة للشباب بـأسلوب الأستاذ البقالي السلس، وخيالـه الخصب، وخطوته السريعـة التي تنقل القارئ من مفـاجأة إلى أخرى، ومن عـالم إلى آخر، يقرب للقـارئ أحـداث الماضي البعيـد، ويلقي الأضـواء على عـوالم المستقبل، بـالبراعـة نفسهـا التي يتنـاول بها الحاضر ... غرابـة؛ فالبقالي من أبـرع كتاب القصـة البوليسية الخ... العلمية الحديثة للشباب في العالم العربي.

مكتبة العبي...

